بسم الله الرحمن الرحيم

(رأيي حُرٌّ في فتنة سوريا وغيرها)

أكثر الآراء مقيّدة بالتقليد، وبالنقل عن وسائل الإعلام الفاسقة، وبالعاطفة (أي الهوى) مع فئة أو ضدّ فئة، ويجمع الثلاثة البُعد عن التثبّت الذي أمر الله به كلّ مؤمن: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾ وفي قراءة مشهورة: يقول الله تعالى: ﴿فتثبّتوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾، ويجمع الثلاثة غياب العدل الذي أمر الله به المؤمنين في معاملة أعدائهم الذين صدّوهم عن المسجد الحرام: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾، ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

ولأن الله هيّأني لما لم يهيّئه لأكثرين فأقمت في بلاد الشام أكثر من عشرين سنة في خدمة الدعوة على منهاج النبوّة التي بثّها دولة التوحيد والسنّة في أنحاء المعمورة، وما يتبع ذلك من تقديم الغذاء والكساء والكتب الدينية المطبوعة محليّاً أو المقدّمة عينيّات منذ الهجرة مكتب الحدود، وبناء المساجد ونحو ذلك.

ومع أني ابتليت بما لم يُبتلَ به الأكثرون من المضايقات الأمنيّة فلا أختار لنفسي إلّا ما اختاره الله لي من قول الحقّ والعدل ولو خالف الأكثرون:

أ- سبق لهذه الفتنة فتنة أخرى قبل (٣٠) سنة، لو نعتبر:

١) بدأت الفتنة بمظاهرة في حماة احتجاجاً على حذف ثلاث كلمات تقرّر أن: (الإسلام دين الدولة) من الدستور الجديد.

وقد وفّق الشيخ محمد إسماعيل رحمه الله (شيخ حميدي السلفي رحمه الله) في إيجاز القصّة بقوله: (أخطأ المتظاهرون لتمسّكهم بهذه الجملة لأنهم يعلمون أن الإسلام لم يكن دين الدولة منذ الحكم العثماني وبخاصة في الاعتقاد أعظم أمور دين الإسلام، وأخطأت الدولة لحذفها ثلاث كلمات كان الأولى إثباتها درءاً للفتنة.

٢) وفرّق رجال الأمن المظاهرة كالعادة، وكالعادة ردّ المتظاهرون بالعنف فحاولوا تفجير مركز الجيش في الأزبكيّة من دمشق، ولعلّه أوّل تفجير انتحاري، ولما وجد سائق سيارة المتفجّرات عوائق أمنيّة تحول بينه وبين الدخول بسيارته إلى المركز اضطرب وفجّر تاركاً السيارة تنفجر في الشارع فقتل عشرات من المارّة.

٢) وتطوّر التظاهر إلى عصيان مسلّح وكانت الغلبة لسلاح الدولة فهرب قادة العصيان إلى البعث العراقي، وانتهت أحلام اليقظة بعد أن سُمّي وزراء الدولة الجديدة التي ماتت قبل أن تولد، ولعلّ الله اختار الخير فإن أخطاءها محسوبة ظلماً على الدين، أمّا الدولة الحالمة فأخطاؤها محسوبة على العروبة والاشتراكية، ولن يقبل منها صرف ولا عدل، ولم تأثر مناهج التعليم الدينيّ بالعروبة ولا بالاشتراكية بل إن مقرّر العقيدة في المعاهد الحكوميّة كالدينيّ الذي ألّف في عهد حافظ الأسد خيراً من مقررات العقيدة في جميع المدارس الدينية الخاصة ومن بينها مدارس جزء الإخوان المبتدع، وخير من المقرّر في معهد أبو النور لمشيخة الطريقة النقشبندية من تأليف عبد المجيد الزنداني تجاوز الله عنه.

وقد ألّف المقرّر الحكوميّ: البغا والخن وقلعجي وغيرهم على الشورى.

٤) تراوحت الإحصائيات عن عدد القتلى في حماة نتيجة لهذه الفتنة بين (٢٠,٠٠٠) كما ذكرت مجلة المجتمع الإخوانية في الكويت و(٣٠,٠٠٠) كما ذكر أمين الندوة العالمية للشباب الإسلامي الإخوانية في الرياض و(٧٠,٠٠٠) كما ذكر الشيخ محمود الأستنبولي من سوريا رحمهم الله.

ثم ظهر تقرير تحالف الثوار (إخوان وقوميين عرب وبعثيين عراقيين وسائر الخارجين على الدولة على اختلاف انتماءاتهم بين إسلامي وعلماني) بعنوان: (حماة مأساة العصر) فعدّوا نحو (٣,٠٠٠).

ومع أن أقلّ تقدير باسم الثوار فلا يزالون هم وغيرهم يكيلون بالألوف وعشرات الألوف ولا ذكر للأرقام بين (١) و(٩٩٩) فإني لا تصلح للإثارة ولا لجمع التبرعات، أما آيات التثبت والعدل والوزن بالقسطاس المستقيم فالغالب أنها تُقرأ للحفظ لا للتدبّر ولا للعمل، نستغفر الله ونعوذ به من أن نظلم أو نُظلم.

٥) وانتشرت الشائعات بمنع الأحياء والحجاب ومحو حماة من وجه الأرض، فذهبت فور توقف القتال وشاء الله أن يكون جاري في الصلاة ضابط مُلتحٍ وعرفت لأول مرة أن الجيش السوري لا يمنع الالتحاء بين أفراده خلافاً لكثير من الدول العربية والمسلمة ولم أر حجاباً (بعد السعودية) أكثر منه في سوريا، وزرت حماة مع بعض إخواني في الدين والنسب أكثر من مرة وفي إحدى المرات اصطحبنا سوريّاً وعدنا باطلاً عنا على الدمار فلم نرَه في بيت واحد ولم يزل أمين الندوة العالمية الإخوانية حتى مات رحمه الله يؤكد محو (حماة) من وجه الأرض، بل ردّد هذه الشائعة قبل أشهر كبير

القضاة (في بلد مسلم) مع أنه لم يُبتل باتباع المناهج الحركية الحزبية المبتدعة، ولكنه لم يَسلم من اتباع دعاياتها المضللة، وردد كبير القضاة فرية قتل عشرات الألوف، والحقيقة أن الأذن قد تحمل محل العقل في هذا العصر الأغبر رحمك الله؛ فكيف إذا حلت محل الخلق الشرعي؟

ب - وجاءت الفتنة الحاضرة، ورأيت فيها أنها:

١) بدأت تطبيقاً للفتن المتتابعة التي كانت شرارتها الأولى إحراق تونسي نفسه سخطاً على تقدير الله رزقه عافانا الله مما ابتلاه به، وانفتح الحزبيون والحركيون الغوغائيون في عدد من بلاد العرب مخالفة لشرع الله ولإفساداً في الأرض.

فشرع الله ينهى عن منازعة الأمر من ولاه الله الأمر إلا لأهل الحل والعقد إذا رأوا كفراً بواحاً معهم عليه من الله برهان: آية محكمة أو حديث صحيح يفهم فقهاء الأمة في القرون الخيرة، وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ والفساد في الأرض يلزم المظاهرات والاعتصامات والثورات والاضرابات منذ بدايتها حتى زواياتها نقص الأمن والأنفس والمعايش، والخدمات التي توفرها الدولة غالباً مهما كان جائراً.

٢) في الفتنة الأولى بقي النزاع بين الراعي وعدد من أفراد رعيته، وقام الراعي بما يملي العقل ويقره الشرع: مقاومة الفتنة إلى حد قتل الباغي أو سجنه أو تعزيره، وقال الله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾.

ولأن السلفيين يحكمون ما أنزل الله فلم يخرجوا ولم يفسدوا ولم يقتلوا وعلى هذا لم يقتل منهم أحد ولم يسجن منهم إلا الشيخ محمد بن عبد الصباحي وولدي بصدر وجه من السجن أن فرج عن منهاج السنة فأعطى قريباً لما الأطبع بديوان طهران حديد من حزب الإخوان لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر بل يثير الفتنة بين الراعي والرعية كقادة الحزب المفسد، وفرحت منه أشر أشري ببعض المال سلاح لقتال ولاة الأمر.

وفي الفتنة الأخيرة شاركت الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا وغيرها في الفساد بحجة أن الراعي يقتل رعيته، وفق مبالغات وسائل الإعلام وتقارير الثوار، وبحجة رفع الظلم عن الثائرين فيما يسمى: الشرعية

الدولة أما شرع الله في آية الحرابة وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه» رواه مسلم، فتشقى في الكتاب والسنة إلى أن تكون معنا!

ج- يحتج المنتمون إلى السنة بأن رأس الدولة ينتمي إلى طائفة قال عنها ابن تيمية رحمه الله أنها أكفر من اليهود والنصارى:

١) هل يجوز تحكيم كلام ابن تيمية رحمه الله عن أمة خلت قبل عصره على معاصرين بعد موته بسبعمائة سنة؟

٢) وهل كان المنتمون إلى السنة (منذ عصره إلى يومنا هذا) من أهل السنة حقاً (غير النادر)، وقد نفوه وحبوه حتى مات رحمه الله محرره بالتوحيد والسنة، والأكثرون يقترفون أو يقرون الشرك والابتداع؟ والسوم (في كل بلاد الشام المباركة المقدسة): أكثر أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة والأنصاب والأحجار المعقد فيها والمدعو من دون الله هي خاصة بالمنتمين للسنة أو مشتركة بينهم وبين اليهود والنصارى (كما في المسجد الإبراهيمي بالخليل من أرض فلسطين: (٤) لليهود والنصارى و(٦) للمنتمين للسنة) ودعاء غير الله أو ما يميز الطوائف الأخرى، ويجتمع المنتمون للسنة مع المنتمين للشيعة على وثن باسم السيدة زينب، وعمت بأذني مرة رئيس مؤسسة دينية يطلب من آخر ذبح خروف عند مقام السيدة زينب كفارة ظلم له، ويجتمع المنتمون للسنة مع النصارى على تقديس ثلاثة أوثان باسم الخضر محرر أحدها بمذبح للقربان في بلد واحد، ومع غيرهم أو منفردين على آلاف الأوثان في مختلف بلاد العرب والمسلمين عدا السعودية وبعض دول الخليج.

وأشهد أن الذبح لوثن باسم خالد بن الوليد في حمص لم يتوقف إلا منذ عشرين سنة أو أقل وزير الأوقاف في دولة البعث وأوقف مع الصلاة على أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان في أحد مساجد المنتمين للسنة، ردهم الله إلى دين الحق، وهذا لا يعني بالضرورة توقف أصحاب القربان الوثني عن نذرهم لغير الله ولكن الوزير رحمه الله عمل ما استطاع فأمر المسئول عن جمعية خيرية باستلام القربان وذبحه في الجمعية باسم الله وتقديم لحمه للمحتاجين، ومن سنة الحسنة أن أخذ موافقة حافظ الأسد على فتح مراكز الأسد لتحفيظ القرآن في كل مسجد يرغب أهله في ذلك، وفي حالة نادرة تحول المركز إلى معهد شرعي سلفي ثم أغلق بالطبع فأفسدوه.

د- تجاوزات موظفي المؤسسات الأمنية قد تكون هي سبب ما يسيء إلى علاقة الراعي بالرعية في كل نظام (وبخاصة النظم الاشتراكية)، بل قرأت في مذكرات مسئول أمني مقاعد في بريطانيا أن المؤسسة الأمنية وأفرادها يعيشون على الظن ولولاه ما تطورت المؤسسة وكثر موظفوها، ثم إن الأمنيين تحيط بهم هالة من السرية يأمنون في ظلها المحاسبة الدنيوية وقليل منا من يستحضر المحاسبة والمعاقبة الأخروية نستغفر الله.

والعرب لا يحتاجون إلى مسوغ لمعاداة ولاة أمرهم ومنازعة الأمر أهله فقد ثاروا على خليفة النبي صلى الله عليه وسلم الثالث عثمان رضي الله عنه وقتلوه، وعلى الخليفة الرابع ابن عم رسول الله فقتلوه، ولولا بوادر الثورة الفرنسية ثم الثورات العربية منذ جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم والسلال والقذافي وصدام والبعث العراقي والسوري، وثورة الخميني وهي الأقرب إليهم لتوهم أنها، ولو لم تحرق التونسي نفسه لوجدوا قدوة أخرى.

ولقد تسور الأمنيون منزلي في سوريا الاشتراكية وفي الأردن الرأسمالية، عرفت ذلك من آثار أحذيتهم العسكرية ومن أنهم لم ينقصوا المنزل شيئاً من أثاثه، غير بضعة كتب يعلم الله أني لم أجز نشرها الجائر من تمنه على ولاة الأمر هنا أو هناك، ومع ذلك لم تأخذني العزة بالإثم بل استمر نهيي عن منازعة ولاة الأمر وجوارهم ولو ظلموا، والظلم غالباً يتعلق بصغار الأمنيين وهم من أفراد الشعب، وقد لا يرضى كبارهم بدليل أن حافظ الأسد نفى أخاه رفعت ونفى مشيل عفلق لتجاوزهما الحدود في العلاقة بين الراعي والرعية.

وإني لأدعو لجميع ولاة المسلمين بالهداية والتوفيق وأدعو لهم أن يطهر الله قلوبهم وأعمالهم ومساجدهم من الشرك والبدع والفتن والمعاصي ما ظهر منها وما بطن، وكذلك مما يأكل نقص القائمين والخطباء الذين يدعون لهم بالنصر ويحرمونهم الدعاء بالهداية وهم في أشد الحاجة إليها.

قال لي عبد الله المطوع ومانع الجربي رحمهما الله وهما ممن خدع بالدعاية الإخوانية: لصالح من تنفي قتل عشرات الألوف وتحو صماة عن وجه الأرض، قلت لأن عزتكم وحلفاءكم يزيدون في دعواهم عن أعداد الآلاف وعادتهم المبالغة، ولأن صماة موجودة على وجه الأرض، فلمصلحة الشرع والحق والعدل واتباعاً للآية المحكمة والحديث الصحيح، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط وهم الأكثرون دعونا لهم بالهداية وكلمة الحق والعدل في الغضب والرضا ١٤٢٢/٥/١٨.